

كيف يستقبل المسلمون شهر رمضان المبارك؟



«أيامٌ قليلة ويهلُّ علينا شهر رمضان المبارك، إنَّه الشهر الذي فضَّله الله وميَّزَه بنزول القرآن فيه: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلَا يَصُمُّهُ...) (البقرة/ 185). وأعظم به من تكريم وتشريف لأيام هذا الشهر المفضل! فكيف نستقبله؟ لابدَّ من أن نكرم الأيام التي كرمها الله وشرفها، فنسعى فيها إلى مرضاته بالتوبة إليه، إقلاعاً عن الذنوب، وإقبالاً على الطاعة، وتطهيراً للقلوب واستدامة للمودة مع الناس، بإحسان العشرة والصلة بالوالدين وذوي القربى والجيران (وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنَّةِ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنَّةِ وَابْنِ السَّبِيلِ...) (النساء/ 36). هذه القربات والفضائل ينبغي أن نسارع إليها - نحن المسلمين - لنعلم الناس جميعاً أنَّ الإسلام دين الإنسانية، يأمر بالإحسان والبر بالإنسان على اختلاف الألسنة والألوان والأوطان والزمان والمكان. وإذا كان المسلمون قد تفرقت كلمتهم، وإنفرط عقدهم، حتى صاروا فرقاء متدابرين متنازعين، بل اشتعلت بينهم الحروب المزمنة المدمرة فهذا هو شهر رمضان شهر الصوم عن الخطايا والدنايا، شهر القرآن شهر العبرة والتذكرة، فيه الهدى والهداية، فيه المنح والعطايا. أ رأيت إلى الحديث الشريف المتفق عليه الذي رواه أبو هريرة (رض) عن الرسول (ص) أنَّه

قال: "إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفت الشياطين؟! وهل تفتح أبواب الجنة إلا لمن أقبل على الله وأحسن العمل.. العمل للدين والدنيا، وإلا للذين يتلون كتاب الله، ويلتزمون أحكامه، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويوفون بعهد الله إذا عاهدوا، وبالعهود إذا تعاقدوا، يعبدون الله رغبة في مرضاته، لذاته وجلاله، لا طمعاً في الجنة أو رهبة من النار فهذه أسمى مراتب العبودية القائمة على أساس من المحبة الصادقة لله. وهل تغلق أبواب النار إلا دون هؤلاء الذين قال الله عنهم: (وَأَمَّا مَن ظَنَنَ أَنَّهُ قَدِ اتَّقَىٰ * وَاصْدَقَ بِحَلِيقَتِهِ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ) (الليل/ 5-7).

وأولئك الذين قال الله عنهم: (وَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكٌٌّ رَّقِيبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّابِرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ * أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْأُمِّيِّمَةِ) (البلد/ 11-18). نعم؛ نستقبل شهر رمضان بالانتصاف من أنفسنا، فنروضها على القناعة فلا يصبح شهر الصوم شهراً للبخل والحرص على المال شهراً على المحتاج؛ (وَأَمَّا مَن ظَنَنَ أَنَّهُ قَدِ اتَّقَىٰ * وَاصْدَقَ بِحَلِيقَتِهِ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى) (الليل/ 8-11). نستقبل شهر رمضان بإفشاء السلام، وإطعام الطعام حباً لله وشكراً لنعمائه: (يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنْ زَمَّ نُطْعِمُكُمْ لِرِجَالِهِمُ اللَّحْمَ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا) (الإنسان/ 9-8). نستقبل شهر رمضان بمجالس العلم، نتدارس فيها كتاب الله وسنة رسول الله (ص) نحیی بعلمومهما موات القلوب، ونستر بهما عورات الذنوب، سعيًا إلى الله لعله يرضى عنا ونتوب، ويهدينا إليه، ويجمع كلمتنا على الهدى ودين الحق. نستقبل شهر رمضان بعمارة المساجد بصلاة الجماعة: (إِنْ زَمَّ يَعْْمُرْ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) (التوبة/ 18).

لا ندعو فيها إلا الله، ولا نعمل فيها إلا الله: (وَأَنَّ اللَّهَ سَاجِدٌ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا أُخَرًا) (الجن/ 18). نستقبل شهر رمضان بالمفيد من العمل، فليس الصوم مدعاة للهو أو الكسل، إنَّه شهر الخلاص والإخلاص، فمن صامه وقامه صار أهلاً لرضوان الله، والصوم هو العبادة التي لا يدخلها الرياء، إذ هو سر بين الصائم وربِّه؛ ففي الحديث القدسي المتفق عليه واللفظ للبخاري عن أبي هريرة (رض) أن رسول الله (ص) قال: قال الله عز وجل: "كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنَّه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم". *شيخ الأزهري السابق - رحمه الله - المصدر: كتاب (منهج الإسلام في التربية والإصلاح)

